قصص القرآن

أصحاب السبت

قلم: أحمد بهجت
ريشة: مصطفى حسين



دار الشروق

الطبعة الأولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الطبعة الثانية
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الطبعة الثالثة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

© دار الشروق
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٢٩٣٣٣ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣ برقيا : داشروق ـ تلكس : SHOROK 20175 LE

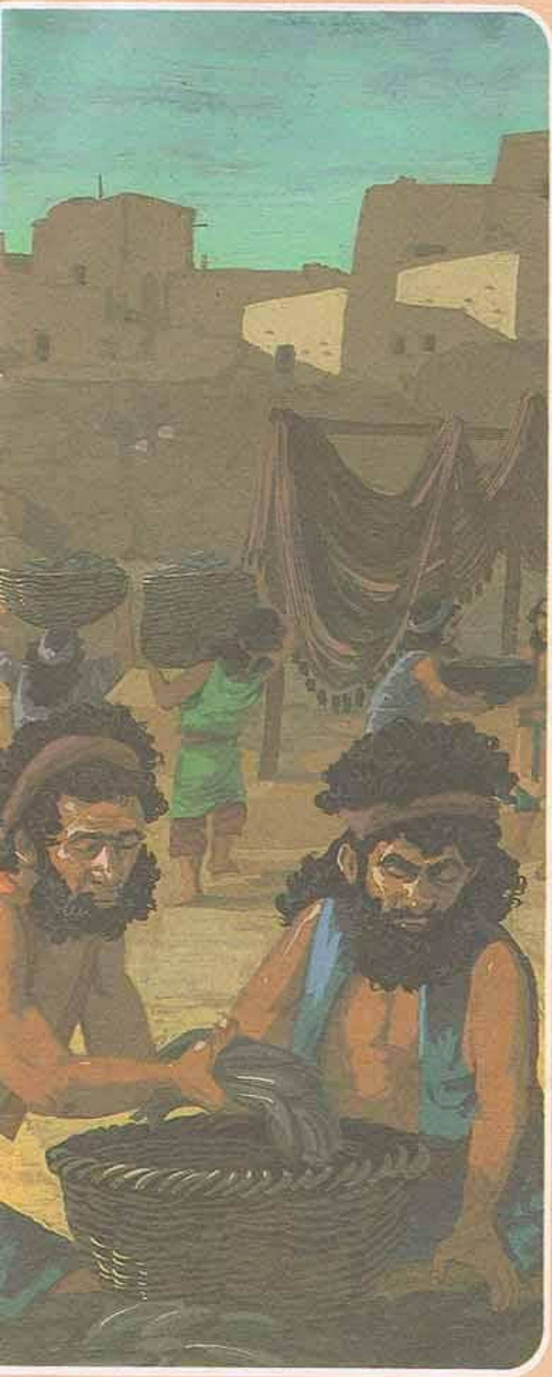
قصص القرآن

أصحاب السبت

قلم: أحمد بهجت
ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق

هِيَ قَريةُ « إيله » . . وهي قرية يَعيشَ أَهلُهـا على صَيـدِ الأسماكِ أو الحِيتانِ .



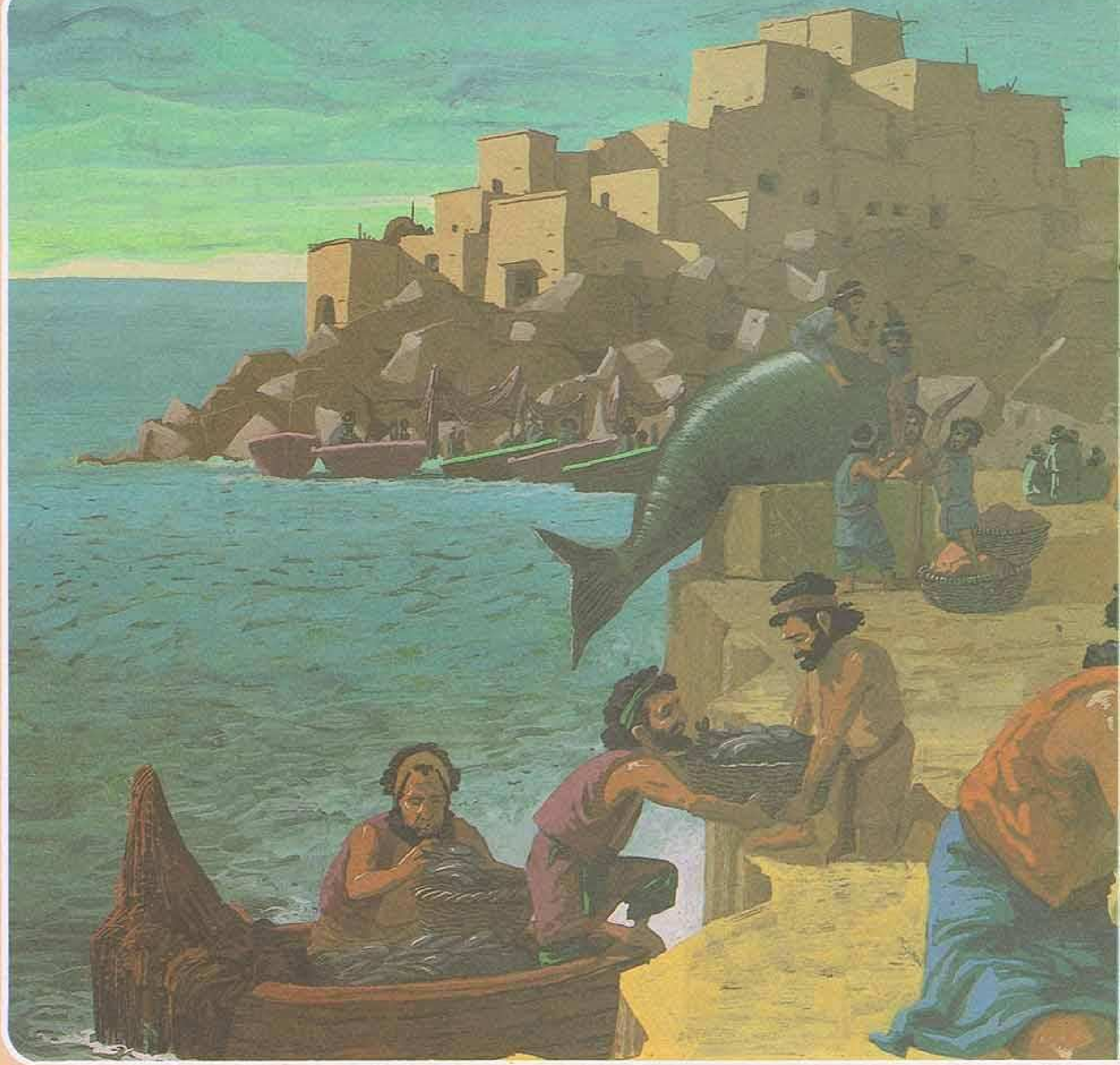
أَمّا القريةُ فَيسكُنُها قَومٌ ينحدِرونَ من سُلالة بَني إسرائيلَ ، وكان بَنو إسرائيلَ يُقَـدِّسـونَ السَّبتَ مـثـل آبـائِهم ، ويَجعلونَــه للعِبادةِ وَحـدَهـا . . ولا يُزاوِلونَ فيه أيَّ عملٍ من أعمالِ الحياةِ الدُّنيَوِيَّةِ . . .

كان مُحرمـاً عَليهم يَومْ السَّبتِ مثلاً أن يَصطادوا السَّمكَ ، كما كان مُحـرماً عَليهم أَن يُـوقِـدوا نـاراً . .

وكانتْ هُناكَ نُصوصٌ حاسِمـةٌ تُهدِّدُ مَن يخرُجُ على حُرمةِ اليومِ ويَرتكِبُ فيه أيَّ فِعلٍ مِنَ المُحرَّماتِ .

وكـانتِ القـريـةُ تعيشُ على الصَّيـدِ وتجـارتِـه ، كمـا كـان بعضُ أَهلِهـا يَعيشـونَ على بَيْعِ العَنْبَرِ ، وكـان رِزْقُ القريةِ واسعـاً . . ثم شَاءَ الله تَعـالى أَنْ يَمْتحِنَ أهلَها . .

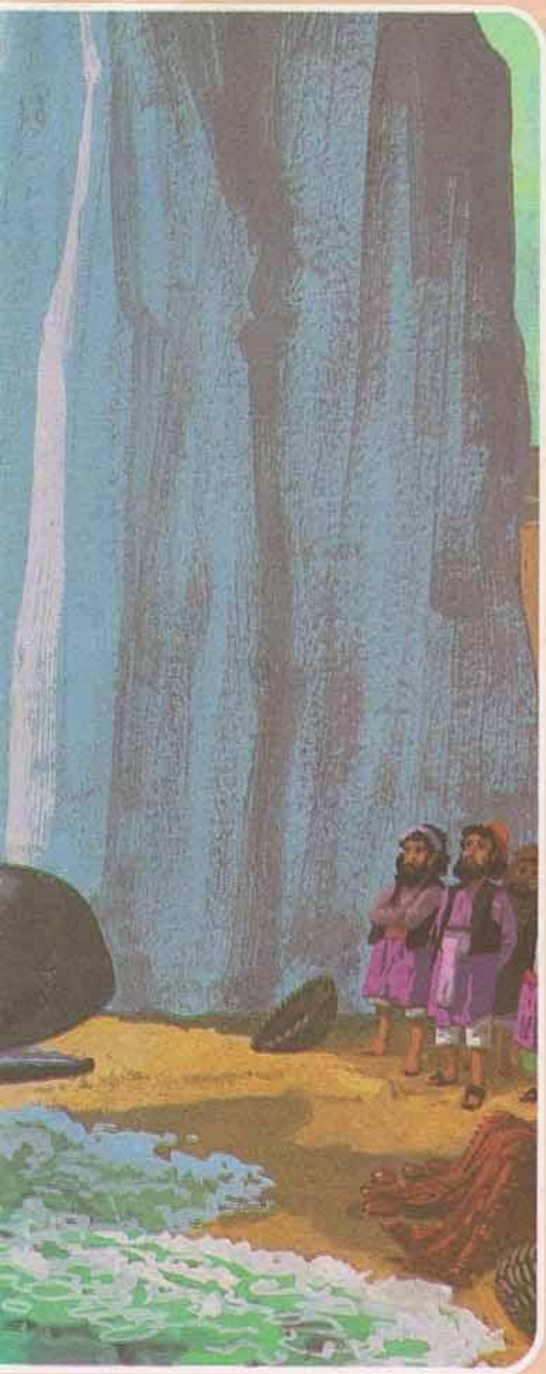
على سـاحل البحـر . . وقـريبـاً من القَـرية . . كـانَ هُناكَ حَجَرانِ أبيضانِ تخـرُجُ الأسمـاكُ إليهِمـا ليلةَ السَّبتِ



ويَومِه . .

كـانتِ الأسمـاكُ تـأْنسُ في هـذا الـوقتِ وتأْمنُ . . إنها تـأنسُ للسَّلامِ الـذي يَخْلو من شِبَاكِ الصَّيـدِ ، وتـأْمَنُ للنـاسِ إذْ يَنظُرونَ إليهـا دون أَن يَمُدُّوا إليها يداً . .

وَهكـذا تَـظهـرُ الحِيتـانُ طِوالَ ليلةِ السَّبتِ وطِوال يومِه جِوارَ الصَّخرتينِ .



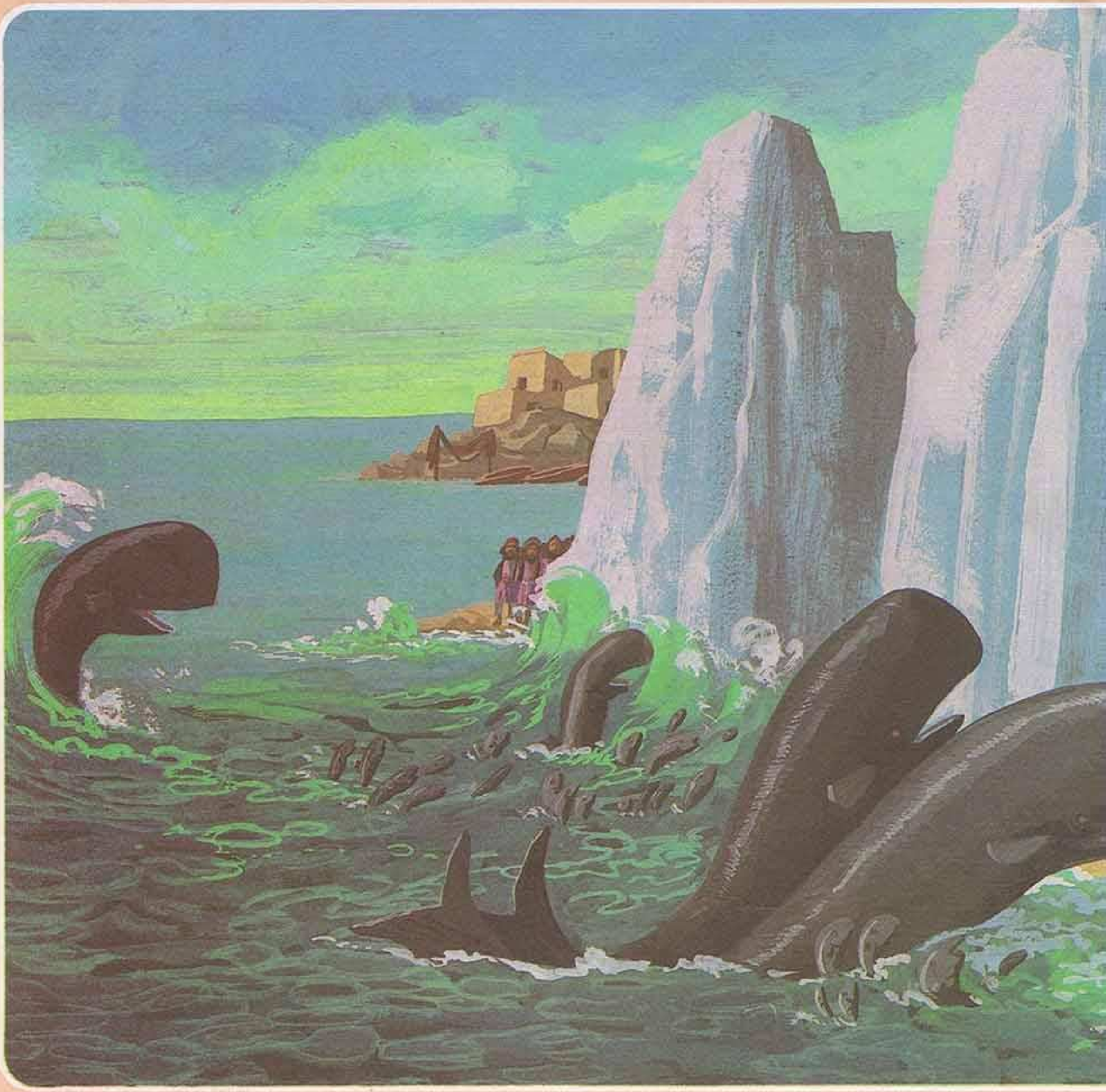
فـإذا آنقضتْ لَيلَةُ السَّبتِ ويَـومُـه أَدركتِ الحِيتانُ أَن وقتَ السَّلامِ والأمنِ قد آنقضَى . . فَتعودُ في أَسرابٍ سَريعةٍ إلى البحـرِ ، وتَغـوصُ داخِلَه وتَختَفي مُبتعِدةً عن شاطىءِ القَريةِ .

وهكذا يَتعذَّرُ على القومِ صَيْدُها .

وقـد تكـرَّرتْ هـذه الـظَّاهـرةُ حتى لَفَتت آنتباه أَهلِ القَريةِ وبَـدأَ الصَّيادون يتسـاءَلونَ . هـل تُفكِّرُ الحِيتـان ؟ هل تَنطوي هذه المَخلوقـاتُ على لونٍ من أَلـوانِ الإدراكِ ؟ وإذا كـانَ الجـوابُ بـالنَّفي فكَيْفَ تَظهـرُ يـومَ السَّبتِ وهي آمنةً من الصَّيدِ وتَختفي بعدَه ؟

وهـلْ في مياهِ البحـرِ مِـزْوَلَـةٌ أو « سـاعـةٌ » تَـدلُّ على الـوَقتِ ؟ كيف تَعْـرِفُ الحِيتانُ أيـامَ الأسبـوع ، وكيف تَعـرِفُ أَن هذا اليـومَ هو السَّبتُ فتـظهرُ فيه ، فإذا مرّ اليومُ عادتْ تَختفي ؟

حَيَّرتْ هـذه الـظاهـرةُ كثيـراً من الصَّيادينَ في القريةِ . وحيَّرهم أكثر أَنّ الحِيتانَ لم تكن تُخطىءُ أَبداً وتَظهرُ في أيـامِ الأسبوعِ الأخـرى التي أُحِـلَّ فيهـا الصَّيدُ . .



وبدأَتْ أَحوالُ القريةِ تتغيَّرُ . .

إن الأيامَ تَمرُّ وهم يَخرجونَ للصَّيدِ ويَعودونَ بِشِباكِهِم فارغةً .

وهكذا آجتمَع رُؤَساءُ القَريةِ وَراحوا يُناقِشونَ المَوقِفَ الجَديدَ الذي وَجَدوا أَنفُسَهم فيه .

قال رئيسُ السُّوقِ : قد أَقفرَ السُّوقُ إلا من الأسماكِ الصَّغيرةِ التي لا تُغني



ولا تُسمِنُ من جُوعٍ . .

وقالَ رئيسُ الصَّيادِينَ : إن الشِّباكَ تَعودُ من البحرِ وهي مُمتلِئةٌ بالهواء مُبتَلَّةً بماءِ البحرِ المالحِ ولا سَمكَ هناكَ .

وها هو الشِّتاءُ يَدخُلُ على الصَّيادينَ ، فمن أين يُطعِمون أَنفُسَهم وأَبناءَهم ؟

وقال رئيسٌ آخر : إن الأسماكَ تَتصرَّفُ كما لو كانت تُغيظُنا . . إنها تَظهرُ في اليومِ الذي تعرفُ أَنَّ الصَّيدَ مُحرَّمٌ فيه ثُم تَختفي بقيَّةَ أيامِ الأسبوع . . إن الأسماكَ تتحدَّانا . .

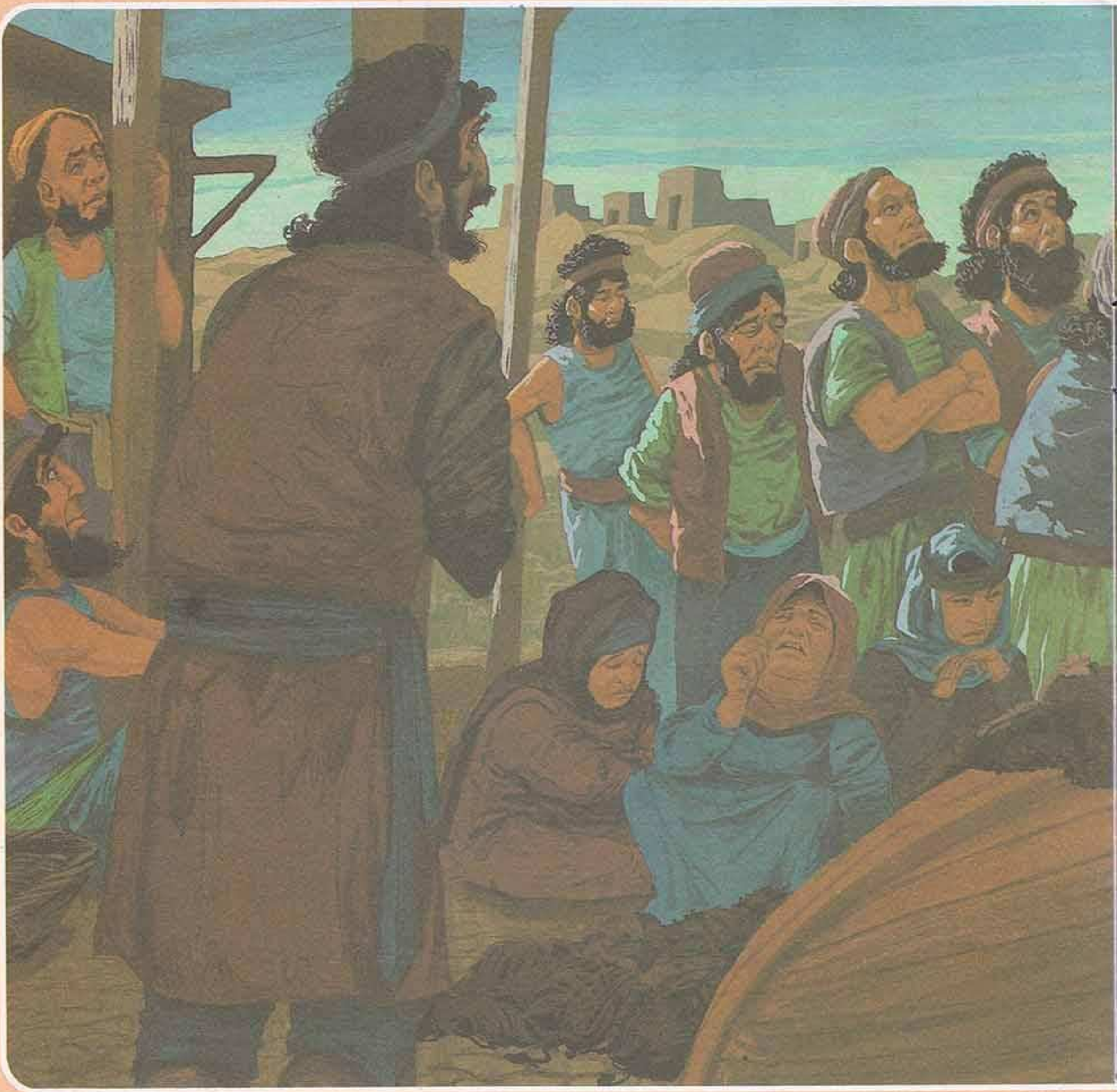
وراحتِ الشَّكوى تَنحدرُ من أَفواهِ الرِّجالِ ، وأسفرَ الاجتماعُ عن انقسامِ الرَّأْيِ .

قال فَريقُ المُؤمنينَ :

ـ إنّ الله يمتَحِنُنا بما يحدثُ ، فَلنصبرْ وَلنَجتهدْ في الخُروجِ إلى البَحرِ ، وَلنستَمِر في مُحاوَلاتِ الصَّيدِ . . ومن يَدري . . عَسىٰ الله أَن يرفَعَ عنا البَلاءَ ويُوسعَ في رِزْقِنا . .

وقالَ فَريقُ المُعانَدينَ :

ـ هذا آستِسْلامٌ . . إن الأسماكَ تمكُرُ بنا وتتعَاملُ معنا بأكبرِ قدرٍ من الغَدرِ والخديعةِ . . لن نتركَها تَعبثُ



بِنا . .

تَساءَلَ أَحدُ المُؤمنينَ :

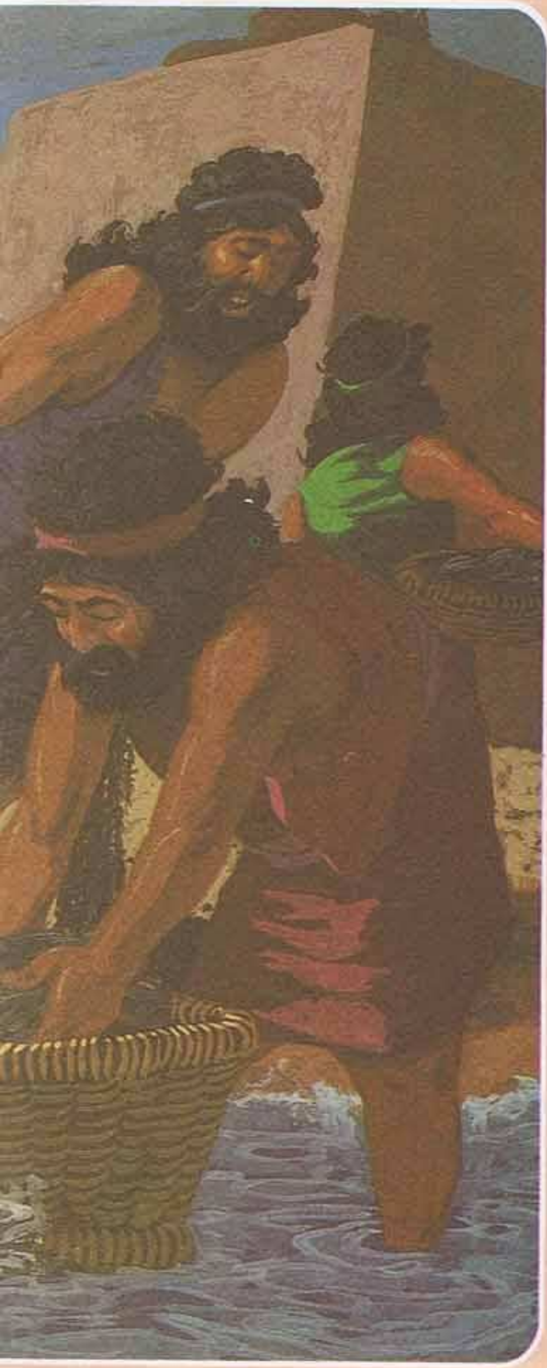
ـ ما الَّذي يَعنيه قَولُكم هذا ؟

قالَ المُعانِدونَ :

ـ سَوفَ نَرى . . سَوفَ نرى . .

وٱنفضَّ الاجتِماعُ ودَبَّ الخِلافُ في القَريةِ .

ٱنطوَى المُعانِـدونَ على فِكْرةٍ أَشـدُّ



في ظلامِها من قاعِ البَحرِ أثناءَ ليلٍ عاصِفٍ شَديدِ الظُّلمَةِ . قالوا لأنفُسِهم :

ـ إنَّ الأسماكَ تَمكُرُ بِنا فَلِماذا لا نَمكُرُ بِها نحنُ ؟ سَنُلقي شِباكَنا في البحرِ يومَ السَّبتِ ، والحيتانُ تَملؤُهُ ، سَتَمتلىءُ شِباكُنا بالسَّمكِ . حين يأتي يومُ الأحدِ سنُغلِقُ الشِّباكَ على السمكِ قبلَ أن يَتَسرَّبَ إلى البحرِ . .

وبهذا نَكونُ قد وَفينا بِتعاليمِ شَريعتِنا التي تُحرِّمُ الصَّيدَ يومَ السَّبتِ وفي نفسِ الوَقتِ نكونُ قد أنقذْنا أنفُسَنا مِن الجُوعِ . .

قال أحدُهم وهوَ يُفَكِّرُ :

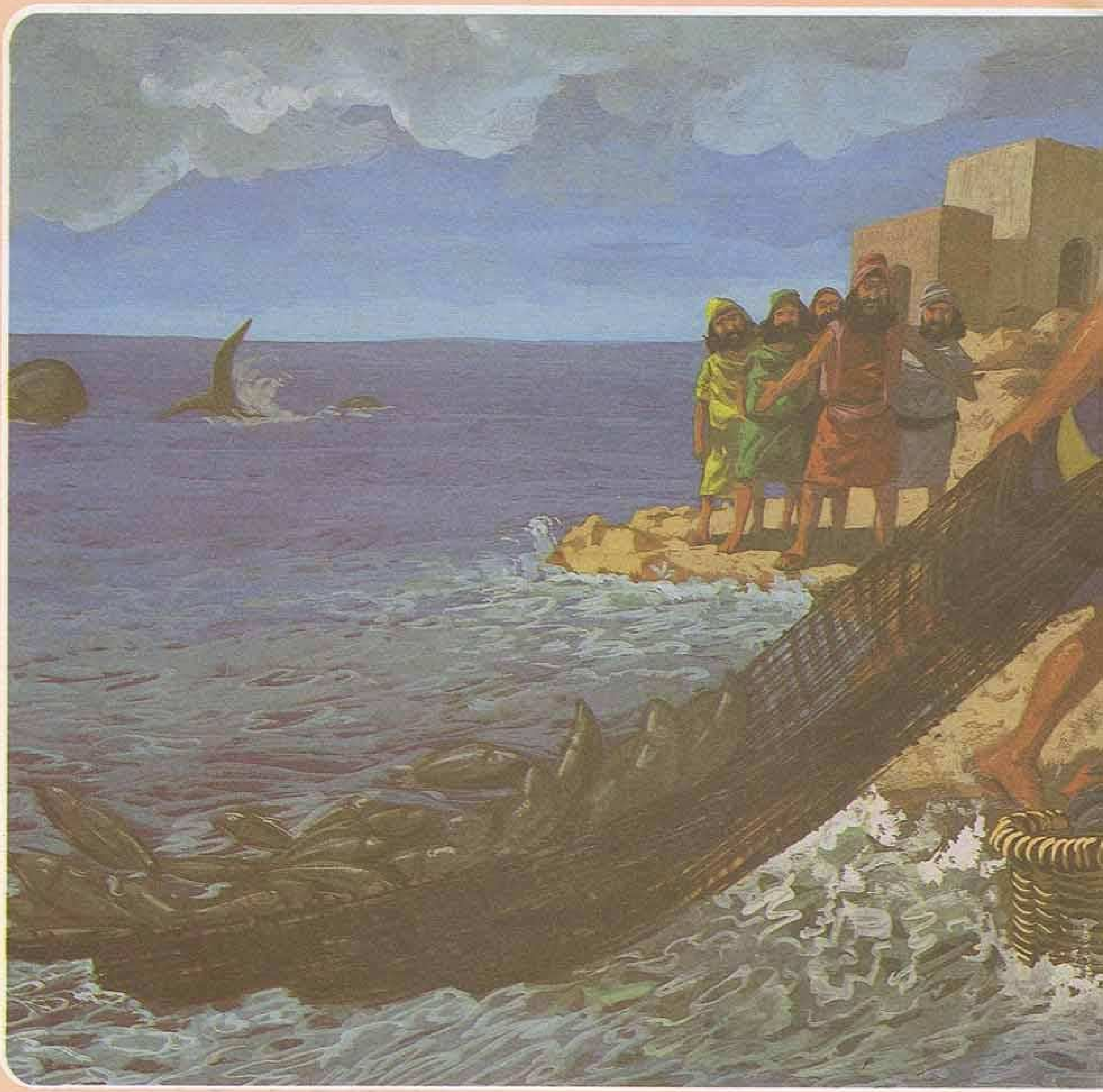
ـ إنَّ القريةَ تَمْتلىءُ بالخِلجانِ التي تَصلُ إلى بيُوتِنا ، والجَداوِل التي يَجري منها ماءُ البحرِ . . سننتظِرُ حتى تَمتلىءَ الجَداوِلُ بالحيتانِ ونُحكِمُ سَدَّها عليهم يومَ السَّبتِ ، فإذا جاءَ الأحدُ ألقينا سِلالَنا وشِباكَنا واصطدْناها . .

قال أَحدُهم وهو يَعبِسُ بوجهِهِ :

ـ إنَّ هذا تَحايُلٌ على الشَّريعةِ . .

أَو هو لَعِبٌ بها . . أيُّ شيءٍ يُصيبُنا لو فَعلنا ؟

أَخمَدوا صوتَ العقلِ الوَحيدِ الذي طَفا وسطَ مُؤامراتِهِم ، وقالوا له :



– لن يُصيبنَا شيءٌ . .

وجاءَ يومُ السَّبتِ على القَريةِ ، ونَفَّذَ المُعانِدونُ حيلَتَهُم وسَجَنوا الحِيتانَ وحاصَروها في شِبَاكِهِم وَسَحَبوها يومَ الأحدِ . .

وشَهِدتِ القَريةُ عُرساً كبيراً رقصَ فيه الرَّاقِصونَ والرَّاقِصاتِ ، وغَنّوا وَشَرِبوا وأكلوا على ضَوءِ المشاعِلِ



حتى الصَّباحِ .

وآكتشفَ المُؤمنونُ ما حدثَ في اليومِ التَّالي . .

زادتْ دَهشتُهُم . .

تَساءَلَ المُؤمِنونَ : من أَينَ جاءَتْ هذهِ الأسماكُ كلُّها ؟

قال المُعاندونَ : آصطدْناها بجُهدِنا وذَكائِنا من البحرِ . .

تَساءَلَ المُؤمنونَ : هل تمَّ صَيدُها يومَ السَّبتِ ؟

قال المُعاندونُ: بل يَومَ الأحدِ . . لم نُخرِجْها من البحرِ قبلَ يومِ الأحدِ . .

قال المُؤمِنونَ : هذا أمرٌ مُريبٌ . . لقد خَرجْنا مِثلكم إلى البحرِ يومَ الأحدِ . . وعُدنا كما خَرجنا بغيرِ صيدٍ . كان البحرُ خُلواً منَ الحِيتانِ . . من أَينَ جاءَتْ أسماكُكُم ؟

قال المُعاندونَ : جاءَت من البحرِ . . إن السَّمكَ لا يوجدُ على البرّ .

أَدركَ المُؤمنونَ أن هُناكَ شَيئاً ما قد حدثَ . . ورَبطوا في أذهانِهم بين ما قالَه هؤلاءِ من أَنَّ الأسمَاكَ تَمْكُر بِهم ، وأَنَّهم سَيمكرُون بها . .

وَقرَّرَ المُؤمنونَ أن يَعرِفوا حَقيقةَ ما



حَدثَ . . وَراقَبوا المُعاندينَ طوالَ يوم ِ السَّبتِ وسَهِروا ليلةَ الأحدِ يَرقُبونَهم . . وآكتَشفوا حيلةَ المُعانـدينَ وفَضحوا أَمْرَهُم . .

قـالَ المُؤمنونَ : هـذا تَحايلٌ على الشَّريعةِ وعَبثٌ بِها . إن عَذاباً هائِلاً يَنتظِركُم فَعودوا إلى الله وآستغفِروه من ذَنبِكُم . .



كانتْ قُلوبُ المُعانِدينَ قَدْ قَستْ ، أَما عُقولُهم فَكانتْ أَشَدَّ قَسوةً . رَفضوا نَصيحةَ المُؤمنينَ .. وأَصرُّوا على خُطَّتِهم ، وآستَكبَروا على كَلِمَةِ الحقّ ، وقالوا إنهم أَحرارٌ في الصيدِ كما يُحبونَ وإنهم لن يَتركوا الأسماكَ تَعبثُ بِهم ..

وآنقَسمتِ القَريةُ إلى ثلاثِ فِرقٍ ..

فِرقةٌ تَنصحُ بالمَعروفِ وتَنهىٰ عن العبثِ بالشَّريعةِ ، وفِرقةٌ مُعانِدةٌ تَتَحايلُ على الشَّريعةِ ، وفِرقةٌ وقَفتْ تَرقبُ ما يَجْري دونَ تَدخُّلٍ منها بالنَّصيحةِ أو الأمرِ بالمَعروفِ .

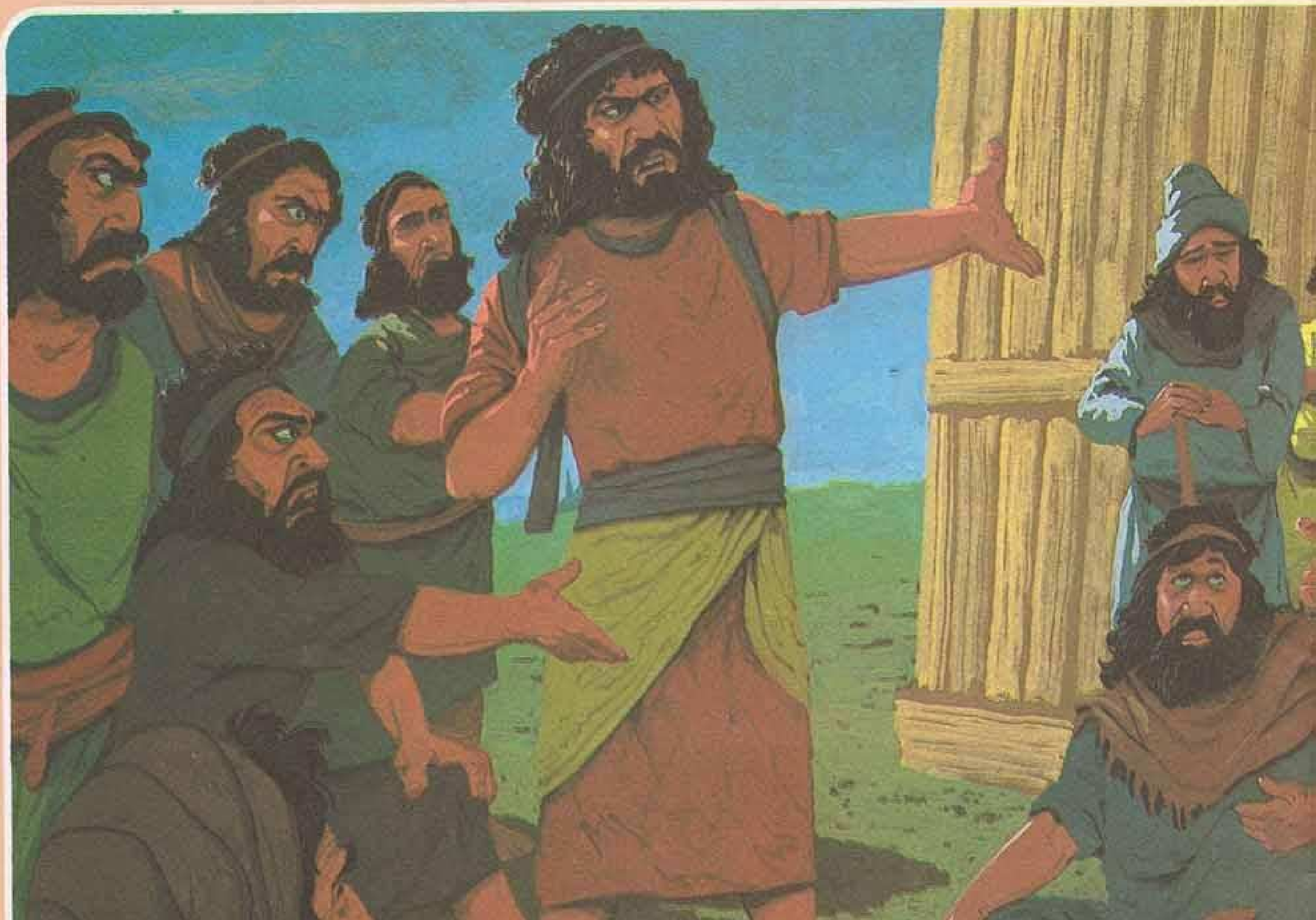
وآشتبكَ أهلُ القَريةِ في صِراعٍ .

كانَ عددُ المُؤمنين قليلاً .. أما المُعانِدينَ فكانوا أغلبيةً .. ورغمَ ذلكَ أسفرَ الصِّراعُ بينهم عن تكافُؤِ القُوَّتينِ .. وتَوقَّفَ الصِّراعُ وجَلسوا يَتحاوَرونَ .. قالتِ الفئةُ التي وَقفتْ على الحِيادِ في الصِّراعِ الدائرِ .. قالتْ هذِه الفِئة للمؤمنين :

﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً ﴾ .

رَدَّ المُؤمنونَ :

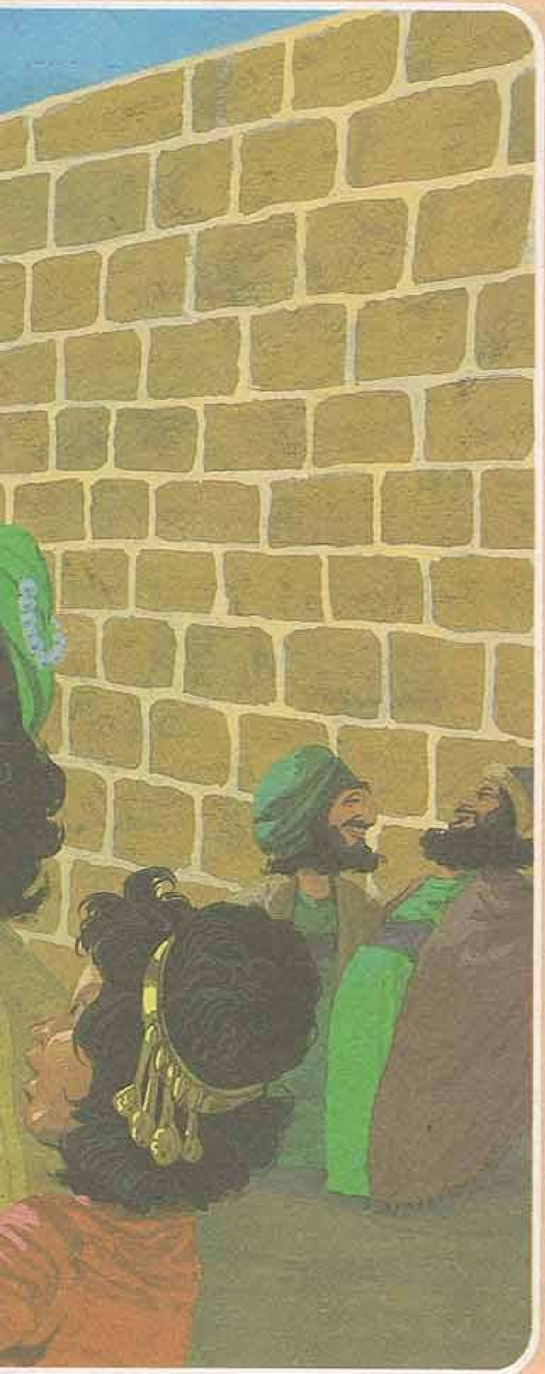
﴿ مَعْذِرَةً إلىٰ رَبِّكُمْ ﴾ .. إنما نَعِظُهُم لِيعذرَنا الله تَعالى ويَعلمُ أننا قد



أدّينا واجِبَنا وأَمرناهُم بما فرضَ علينا . . أيضاً ننصحُهُم لِيتوبوا عن معصيَتِهم ويَخْرجوا من بِحارِ الخطيئةِ التي سيغرقونَ فيها .

قالتِ الفئةُ التي وقفتْ على الحِياد : دَعوهمُ لِعذابِهِم فإنهم لا يستحقُّونَ النَّصيحةَ . .

وعادَ الحِوارُ يدورُ بَينهمُ . .



قال المُعانِدونَ لِلمُؤمنين : آخرجُوا منَ القَريةِ وَدَعوها لنا . .

قال المُؤمنونَ : إنَّها قَريتُنا مِثلما هِي قَرْيَتُكُمْ . . لنْ نَخْرُجَ مِنها . .

وعـادَ الصِّـراعُ يَحتـدِمُ ، ثم آتَّفقَ الجَميعُ على بِناءِ حاجزٍ بينَ المُعـانِدينَ والمُؤمِنينَ في القَريةِ . .

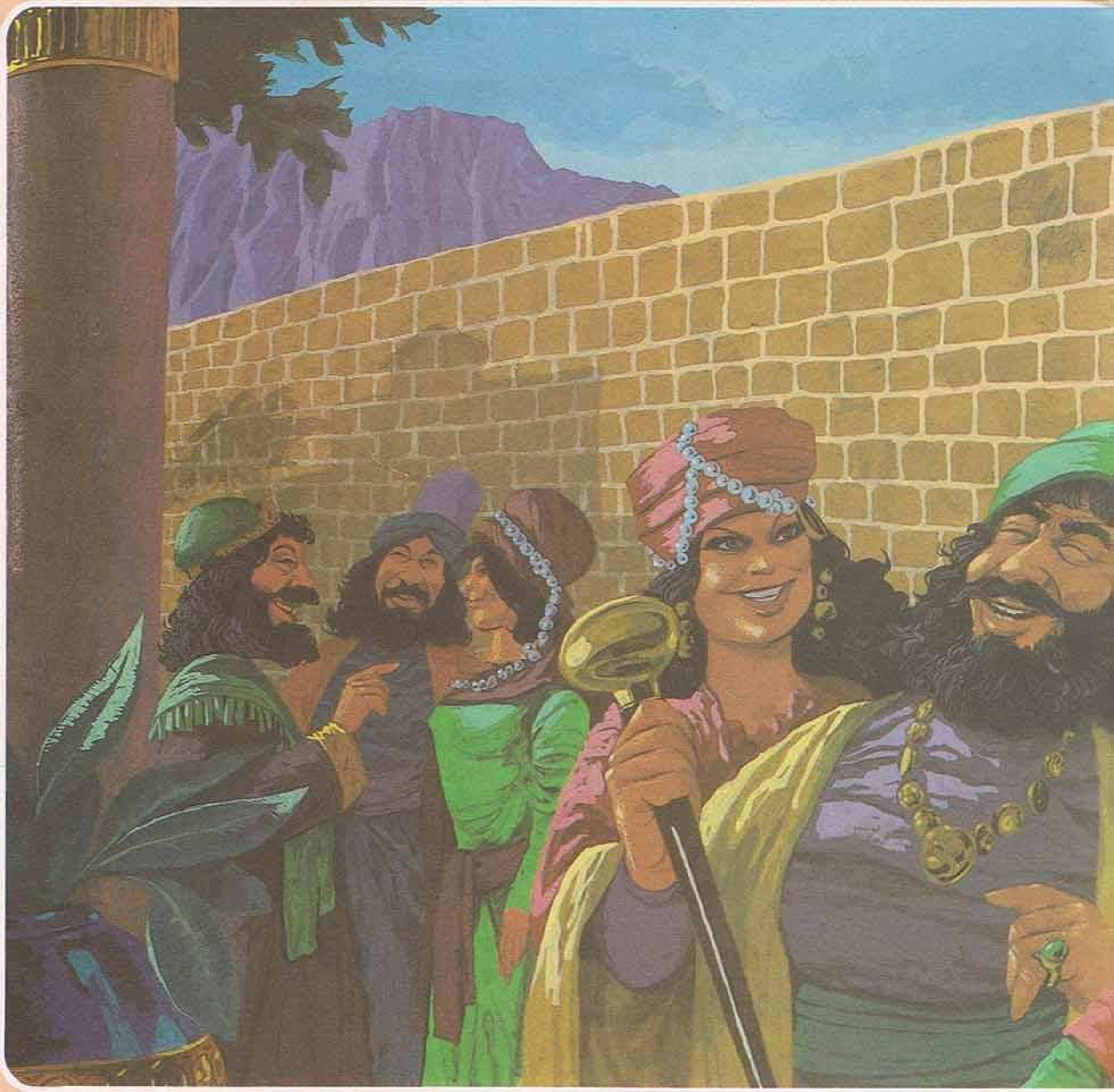
قـرَّروا بِناءَ حـاجزٍ يُقسمُ القَـريةَ إلى قِسمَين . . قِسمٌ صَغيـرٌ لِلمُؤمـنيـنَ ، وقِسمٌ ضَخمٌ لِلمُعـاندينَ . . وبـدأ بِناءُ الحَـاجـزِ . . وَراحَ يَـرتفِـعُ يَـومـاً بَعـدَ يَومٍ .

آزدَهرتْ أحوالُ المُعانِدينَ ، وأثْروا وتَـراكَمتْ أَمـوالُهُم وكثُـرَتْ قُصورُهم ولبِسوا الذَّهبَ والجَواهِرَ .

ولمْ يَيْأَس المُؤمنونَ مِن تَـذْكيـرهِم بمـا يَنْبغي عليهِم أَنْ يفعلوهُ ، ذكَّروهُم بـالطَّاعـةِ . . وآحترامِ الشَّريعـةِ . . وأَمَـروهُم بـالمَعـروفِ ونَهَـوهُم عَن المُنْكَرِ . .

ولكنَّ المُعـانِـدينَ رَكِبـوا رُؤوسهُم وتَبِعـوا هَـواهُم ورَفضـوا الاستِمـاعَ للنَّاصِحينَ . .

لقـد عَتـوا عمَّـا نُهـوا عنـه . . كـانَ



مَوقِفُهُم تمرُّداً واضِحاً وصَريحاً على الله والحقِّ .. والشَّريعةِ ..

وكرِهَ اللهُ المُعانِدينَ وقالَ تعالى لهم : ﴿ **كُونُوا قِرَدَةً خاسِئِينَ** ﴾ .

وآنقلَبَ المُعانِدونَ إلى قِرَدةً .. لم تَزَلْ في أيديها وأَعْناقِها ما كان بأَيْدي الرِّجالِ والنساءِ وأعناقِهم حين كانوا بشراً ..

مسخَ الله تَعالىٰ المُعانِدين إلى قِردةٍ . .

كان التَّحوُّلُ من بَشرٍ إلى قِردةٍ زلزالاً نَفسيّاً هائِلاً أصابَ القَومَ . . لقَد سَقطوا من كرامةِ الإنسانِ وحُريّتِه وَعَليائِهِ إلى سِجنٍ حيوانيٍّ لِقِرَدَةٍ تَعرفُ أنها بَشرٌ . .

قِردةٌ لا تتصرَّفُ كالقِرَدَةِ . . ولا تَحسُّ بإحساسِ القُرودِ . . وبَدأتِ القِردةُ تَعوي حُزناً وتُحاوِلُ الكَلامَ فلا تَستَطيعُه ، وهرعوا إلى أقارِبِهِمْ وَجيرانِهم منَ المُؤمِنينَ يَتمسَّحُونَ في أَقدامِهم ويُحاوِلونَ إفهامَهُم ما حَدَثَ .

أثارَ مَشهدُ القِردةِ ذُعرَ المُؤمنينَ وَهرَعُوا إلى قُصورِ المُعانِدينَ وشَوارِعِهم فَوَجَدوها تَمْتَلِئُ بِالقِردةِ التي تَصايَحُ وَتَعْوي وَتُمزِّقُ شَعْرها ألماً ونَدماً على ما كانَ منها . . كانَ المَوقِفُ فاجِعاً . .

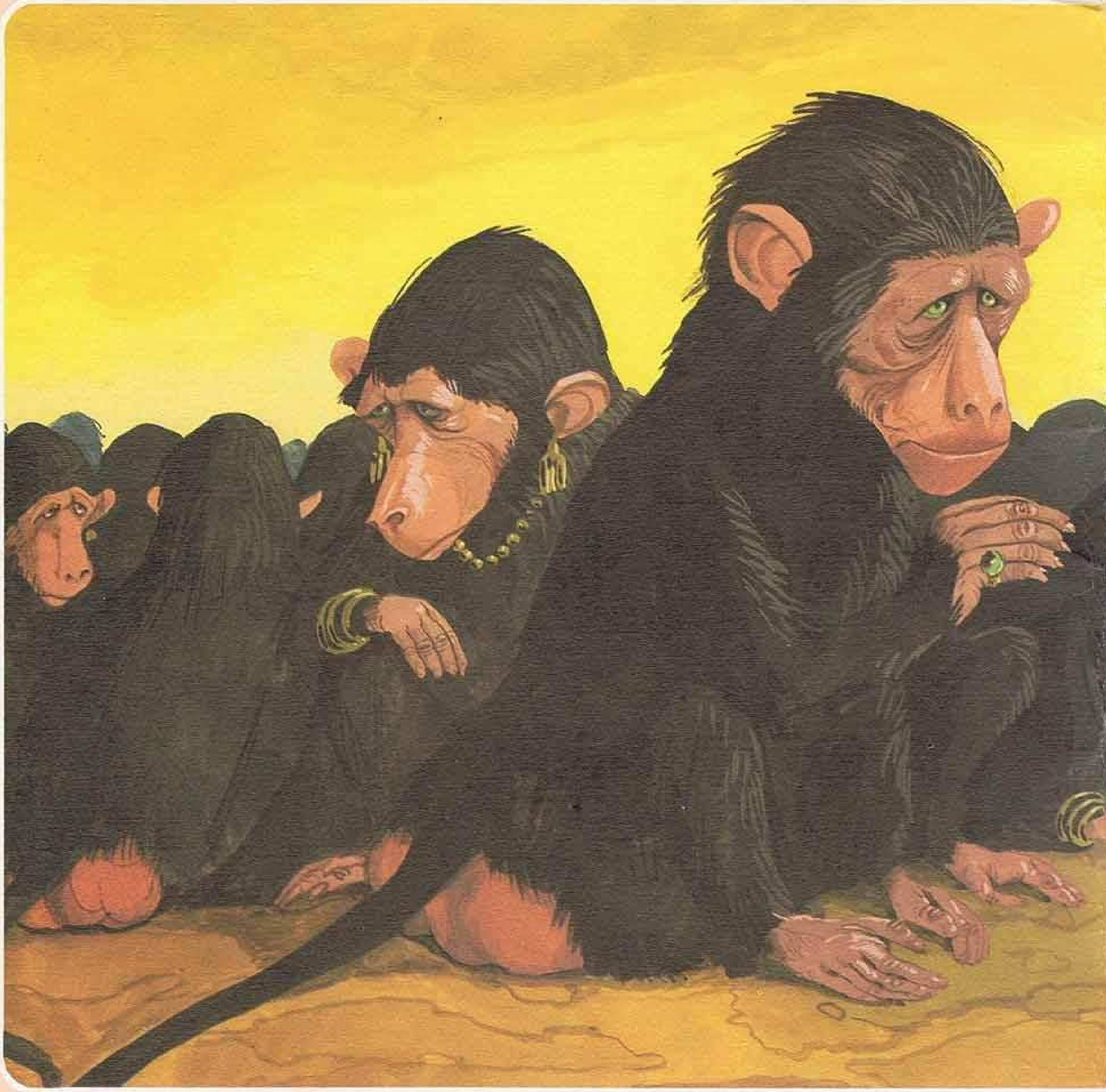
فَهِمَ المُؤمِنونَ ما حدَثَ . .

أَحَسُّوا أَنّ قُلوبَهُم تَهوي في صُدورِهِم من الخَوفِ . .



كانَ المَشهدُ مُؤثِراً والقِردةُ تَلجأُ لِلمُؤمنينَ وهي تَبْكي وتَعولُ . .

وأحسَّ المُؤمِنونَ بالحُزنِ على أوجاعِ القِردَةِ التي هَوتْ من كَرامةِ



البَشَريَّةِ إلى سَفحِ الحياةِ الحَيَوانيّةِ . .
ولم يستطِع المُؤمِنونَ أن يَفعلوا شيئاً يُخَفِّفُ من آلامِ القِردَةِ .
وَقررَّ المُؤمنونَ هَجرَ القَريةِ . .

وخَرجوا ذات يَومٍ منها وتَركوها لِلقِردَةِ . .
وآنْطَوَتْ صَفحةُ المُعتدينَ مِن أَصحابِ السَّبتِ .

مطابع الشروق
القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف: ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس: ٣٩٣٤٨١٤
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف: ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى
ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝ وَإِذْ قَالَتْ
أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا
شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ فَلَمَّا نَسُوا۟
مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا
نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ